﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: 82]

❁ مُناسَبَةُ الآية لما قَبْلَها:

الكشفُ عن حكمةِ إقامةِ الجدارِ، بعدَ الكشفِ عن حكمةِ خرقِ السَّفينةِ وقتلِ الغلامِ

بعد أنِ انتهت رحلةُ العبدِ الصّالح وموسى ﷺ، وراح العبدُ الصّالح يكشفُ لموسى ﷺ، أسرارَ الأحداث الّتي مرَّت بهما، ولماذا تصرَّفَ في كلِّ حدثٍ منها بما قد يبدو ظاهرُه خلافَ الحكمةِ والشَّرعِ، وكانتِ الآياتُ الماضيةُ كاشفةً عن حكمةِ خرقِ السَّفينةِ وقتلِ الغلامِ، وصلَ به المقامُ إلى تبْيينِ سرِّ بناءِ الجدار، وإقامتِه في قرية لم تكرِّم ضيافتَهُما، وأبت إطعامَهما، بعد أنِ استطعَما أهلَها، وكانتِ الأجوبةُ مرتَّبةً حسبَ الوقائع، وحسبَ ترتيبِ ذكرِها في النَّصِّ الكريم على طريقةِ (اللَّفِّ والنَّشرِ المرتَّب)، فقال: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِغُلَٰمَيْنِ﴾: أصلُ (غلم) يدلُّ على حَداثَةٍ وهَيْجِ شَهْوَةٍ، مِنْ ذَلِكَ الغُلامُ، هو الطّارُّ الشّارِب، وهو بَيِّنُ الغُلوميَّةِ والغُلومَةِ، والجَمعُ غِلْمَةٌ وغِلْمانٌ، واغْتَلَمَ الغُلامُ: إذا بلغَ حدَّ الغلومة، ولمّا كان من بلغَ هذا الحدَّ كثيرًا ما يغلبُ عليه الشَّبقُ، قيل للشَّبق: غِلْمَةٌ، ومِنْ بابِه: اغْتَلَمَ الفَحْلُ غُلْمَةً: هاجَ مِنْ شَهْوَةِ الضِّرابِ، والغَيْلَمُ: الجاريَةُ الحَدَثَةُ، والغَيْلَمُ: الشّابُّ[1]، والمرادُ بغلامَين هنا، أي: إنَّهما شارفا

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (غلم).

البلوغَ، أو كانا في بدايته، "يُقال للصَّبيّ من حين يولدُ إلى أَن يبلغ غُلامٌ، وجمعُه غلْمان، وأغيلمةٌ تَصْغيرٌ، وتقول العَرَب أَيْضًا للرَّجل المستجمع قوَّةً: غُلامٌ، واليفعُ الَّذي قارب البلوغ، ويُقال للَّذي أدْرك البلوغ"[1]، ويكونُ وصفُ اليُتم على الثّانية (مجازًا مرسلًا)، باعتبارِ ما كان، كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النّساء: 2].

2) ﴿كَنزٌ﴾: أصل (كنز) يدلُّ على تَجَمُّعٍ في شَيْءٍ، وهو مأخوذ من: كَنَزْتُ التَّمرَ في الوعاء، والكَنْزُ: جعلُ المال بعضَه على بعض وحفظُه[2]، والكَنْزُ: المالُ المدفون[3]، وزمنُ الكِناز: وقتُ ما يُكْنَزُ فيه التَّمر، ويقال: ناقةٌ كِنازٌ، أي: مُكْتَنِزَةُ اللَّحم، وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة: 34]، أي: يدَّخرونها، وقولُه: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ﴾ [هود: 12]، أي: مالٌ عظيمٌ[4]، وكذلك هو المقصودُ به في قوله: ﴿وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا﴾.

3) ﴿أَشُدَّهُمَا﴾: أصلُ (شدَّ) يَدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيْءِ، وفُروعُهُ تَرْجِعُ إليه، مِنْ ذَلِكَ: شَدَدْتُ العَقْدَ شَدًّا أَشُدُّهُ[5]، قال الكفويُّ في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [القصص: 14]: هو مُنْتَهى اشتدادِ جِسْمه وقوَّتِه، وهو سنُّ الوُقوف ما بَين الثَّلاثينَ والأَرْبَعينَ، فإنَّ العقل يكملُ حينَئِذٍ[6]، والَّذي يظهرُ أنَّ بلوغَ الشَّدِّ درجاتٌ ومراحلُ، فله بدايةٌ، وله منتهى، وأنَّ الأشدَّ في قوله: ﴿يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾، هو بدايةُ القوَّة، وأمّا في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: 14]، وقولِه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ [الأحقاف: 15]؛ فإنَّ المرادَ به بلوغُ منتهى الأشدِّ، وهو الأنسبُ لوقت النُّبوَّة ووقتِ النُّضج الكاملِ للعقل، فيكونُ الأشدُّ على هذا هو: "مفهومٌ كلّيٌّ مُشكِّك يختلفُ باختلاف المحلِّ"[7].

4) ﴿تَسۡطِع﴾: أصلُ (طوع) يدلُّ على انقياد، يقال: فلانٌ طَوْعُ يديك، أي: منقادٌ لك، وفرسٌ طَوْعُ العنان؛ إذا كانَ سلسًا، والاستطاعةُ: الإطاقَةُ، وربَّما قالوا: اسْطاعَ يَسْطيعُ، يَحذفون التّاءَ استثقالًا لها مع الطّاء، ويكرهون إدغامَ التّاء فيها، فتُحرَّك السّينُ، وهي لا

(1) عيّاض بن موسى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار: (غلم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (كنز).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (كنز).
(4) الرّاغب، المفردات: (كنز).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شدّ).
(6) الكفويّ، الكليّات، ص: 121.
(7) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 151.

تُحرَّك أبدًا[1]، قال الرّاغبُ: الاستطاعةُ عند المحقِّقين: اسمٌ للمعاني الَّتي بها يتمكَّنُ الإنسان ممّا يريدُه من إحداث الفعل، وهي أربعةُ أشياء: بنيةٌ مخصوصةٌ للفاعل، وتصوُّرٌ للفعل، ومادَّةٌ قابلةٌ لتأثيره، وآلةٌ إن كان الفعلُ آليًّا، كالكتابة، فإنَّ الكاتبَ يحتاجُ إلى هذه الأربعة في إيجاده للكتابة[2]، وقد قال عمرو بنُ معدي كرب:

إذا لَم تَسْتَطِعْ شَيْئًا فدَعْهُ *** وجاوزْهُ إلَى ما تَسْتَطيعُ[3]

وعلى هذا، فـ ﴿تَسۡطِع﴾ أصلُه (تستطع)، فحذفَ التّاء تخفيفًا، لقُرْبِها مِنْ مَخْرَجِ الطّاءِ، وسيأتي مزيدُ كلامٍ عن تعليل حذفِ التّاء منها هنا في الإيضاح اللُّغويِّ والبلاغيِّ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حكمةُ بناءِ الجدارِ المائلِ، في القريةِ المُمتنعةِ عنِ الإكرامِ والإطعامِ، وقصَّةِ ذي القرنَين

ثمّ ثلَّث العبدُ الصّالح بالكشفِ عن حكمةِ بناءِ الجدارِ المائلِ الَّذي أوشكَ على السُّقوط، وهو عملٌ خيِّرٌ في قومٍ غيرِ خيِّرين، حسبَ تصوُّرِ موسى ﷺ، فبيَّن له أنَّ هذا الجدارَ المائلَ، كان ملكًا لغلامين يتيمَين، وقد دفنَ أبوهما تحتَه كنزًا حتّى يكبرا؛ ليَستعينا به بعدَ اللّه تعالى، على تكاليفِ الحياةِ، ثقةً من أبيهما في أنَّ اللّه سيوفِّقُهما لاستخراجه، وسيُعينُهما عليه، فلمّا مال الجدارُ الَّذي وُضع تحته الكنزُ، وشارف على السُّقوط، نقضْتُه ثمَّ بنيتُه، حتّى يظلَّ مُختبئًا عن أنظار أهلِ المدينة، إلى أن يأذن اللّه باستخراجِه عند بلوغِهما الأشدَّ واستطاعتِهما الاعتمادَ على النَّفس، وذلك الَّذي أنبأتُك به، هو التَّفسيرُ الحقُّ، وهو الحكمةُ الكامنةُ، وراءَ كلِّ فعل رأيتَه، ولم تستطع صبرًا عن عدمِ السُّؤال عنه، حتّى أكشفَ لك ذلك في حينِه، كما تعاهدْنا في أوَّل اللقاء، ثمَّ انتقلتِ الآياتُ إلى بيان قصَّةٍ جديدةٍ، وهي قصَّةُ ذي

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (طوع).
(2) الزَّبيديّ، تاج العروس: (طوع).
(3) البغدادي، خزانة الأدب: 8/ 185، والأصفهانيّ، الأغاني: 15/ 207، 225.

القرنَين، حيث سألَ اليهودُ أوِ المشركون بإيعازٍ منَ اليهود رسولَ اللّه ﷺ عن خبرِه، سؤالَ تحدٍّ وتعجيزٍ، فلقَّنه اللّه تعالى الجوابَ، بأن أنزلَ عليه آياتٍ، فيها المهمُّ من خبر ذي القرنَين الَّذي يذكِّرُهم بسيرة هذا العبدِ الصّالح، فلعلَّهم أن يَنتفَعوا بسيرتِه، ويَقتدوا به في الصَّلاح.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ عطْفِ هذه الجملةِ على سابقتِها:

عطفَ هذه الجملةَ على سابقتِها، لتتمَّةِ بيان الحكمةِ فيها، كما بيَّنه فيما سبقَها، فهذا دورُها وترتيبُها وقوعًا وبيانًا، فيبادرُ الرَّجلُ الصّالحُ من غير تأخيرٍ، "بل إنَّه سرعان ما يكشفُ له وجهَ الحقيقةِ سافرًا، وإذا موسى يجدُ هذه الكلماتِ تنفذُ إلى أعماقِه، فتنزلُ على قلبه بردًا وسلامًا، وتدفعُ سفينتَه في ريحٍ رخاءٍ إلى شاطئ الطُّمأنينةِ والسَّلامة"[1].

قصَّةُ موسى والخضر، حلقاتٌ مكوِّنةٌ من مشاهدَ مترابطةٍ

سرُّ التَّعريف بـ(أل) في لفظِ ﴿ٱلْجِدَارُ﴾:

(أل) في ﴿ٱلْجِدَارُ﴾ للعهد[2]، والمعهودُ هو الجدارُ المقصودُ الَّذي وجداه في القريةِ يريد أن ينقضَّ، فأقامه، "وذكروا أنَّ اليتيمَين كانا غيرَ عالمَين بالكنز، ولهما وصيٌّ يعلمُ به، لكنَّه كان غائبًا، والجدارُ قد شارف، فلو سقط لضاعَ، فلذا أقامَه"[3].

أهمّيَّةُ الجدارِ في مواراتِه لمالِ اليتيمَين، وشرفِ ذكْرِه في القرآن المبين

معنَى الفاء في جملةِ ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ﴾:

قولُه: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾، الفاءُ واقعةٌ في جواب الشَّرط في ﴿وَأَمَّا﴾؛ إذ إنَّها للشَّرط والتَّفصيل، ومُفادُ المعنى هنا، قولُ الرَّجل الصّالح: "وَأَمّا الجِدارُ الَّذي سوَّيته، فكانَ لغُلامَيْنِ

دَلالةُ اشتراكِ الغلامَين في ملكيَّةِ الكنزِ

(1) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 665.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 238.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 337.

يَتيمَيْنِ هما أصرمُ وصريمُ ابنا كاشحٍ"[1]، علْمًا بأنَّ اسمَيْهما لم ترِدْ بهما الآية، ولا صحَّ بهما الحديثُ، ولكنَّها أقوالُ المؤرِّخين، ونقولاتُ بعض المفسِّرين، غيرَ أنَّ العبرةَ في المواقف والأحداثِ، وليست في أسماء أبطالِ القصَّةِ؛ إذ يكفي الوصْفُ عنِ الاسم.

سِرُّ إدراجِ فعْلِ الكينونةِ (كانَ) ماضيًا:

التَّعبيرُ بـ (كان)، يفيدُ تحقُّقَ الوقوعِ

عبَّرَ بفعلِ الكينونةِ ماضيًا، لتحقُّقِ حصولِ المُخبرِ عنه، وهو كونُ أبي الغلامَين صالحًا، "قيل: إنَّهما حُفظا لصلاح أبيهما السّابعِ، قال محمَّد بنُ المنكدر: إنَّ اللّه تعالى يحفظُ عبدَه المؤمنَ في ولدِه وولدِ ولده"[2].

دَلالةُ معنَى (اللّام) في شبْه الجملةِ ﴿لِغُلَٰمَيْنِ﴾:

تأكيدُ الحيازةِ للغلامَين بالملكيَّةِ، فاللّامُ للاختصاصِ والمُلكِ، أي: كان هذا الجدارُ ملكًا ﴿لِغُلَٰمَيْنِ﴾ خاصًّا بهما.

سرُّ الوصفِ باليُتمِ هنا:

وصفُ الغلامين باليُتم، إبرازٌ لحاجتِهما إلى الحُنوِّ والشَّفقةِ

عبَّرَ باليُتم وصفًا للغلامَين؛ لإبراز حالِهما مِنَ الضَّعف والحاجةِ، الذي يحتِّمُ وجوبَ تقديم المعونةِ لهما والشَّفقةِ عليهما، فكان ما كان من أمرِ الجدار، وذلك كما وصَفَ أصحابَ السَّفينة بالمساكين لنفسِ الغرض، كما أنَّ فيه دلالةً على صغرِهما[3]؛ ردًّا لقولِ من رأى أنَّهما كان شابَّين كبيرَين، والرّاجحُ أنَّ الغلامَين "كانا صغيرَين، كما يدلُّ على ذلك وصفُهما باليُتم، فإنَّه لا يُتْمَ بعد البلوغ إلّا أن تكون آفة في العقل أو النَّفس، واللَّفظُ يُطلقُ على ظاهر، ما لم يقم دليلٌ يوجبُ تحويلَه عنِ الحقيقة إلى المجازِ، وإطلاقُ اليُتم على البالغِ مجازٌ"[4].

(1) محمّدالجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: 1/ 658.
(2) الماورديّ، النّكت والعيون: 3/ 336.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 215.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4570.

نُكتةُ ورودِ حرْفِ الظَّرفيّةِ ﴿فِي﴾ في السّياقِ:

في إيرادِ ﴿فِي﴾ الظَّرفيَّةِ بقوله: ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾، نصَّ على أنَّهما من أهل هذه المدينةِ المعبِّرِ عنها سابقًا بالقرية، وأنَّهما مُقيمان فيها.

سرُّ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلۡمَدِينَةِ﴾ دونَ القريةِ:

التَّسميةُ بالقريةِ أو بالمدينةِ، يخضعُ للاعتبارِ ولضوابطِ السّياقِ

وذلك أنَّ التَّعبيرَ بالقريةِ أوَّلًا في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ كان أليقَ؛ لأنَّها مشتقَّةٌ من معنى الجمعِ، فكان أليقَ بالذَّمِّ في ترك الضّيافةِ؛ لإشعارِه ببُخلهم حالةَ الاجتماع، وبمحبَّتِهم للجمعِ والإمساك، وكانتِ المدينة بمعنى الإقامةِ، فكان التَّعبيرُ بها في قوله: ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ أليقَ، للإشارة به إلى أنَّ النّاسَ يُقيمون فيها، فينهدمُ الجدارُ، وهم مُقيمون فيأخذون الكنزَ[1]، أو لعلَّه عبَّرَ عنها هنا بالمدينة، لإظهار نوعِ اعتدادٍ بها، باعتدادِ ما فيها منَ اليَتيمَين، وأبيهما الصّالحِ[2].

نُكتةُ عطْفِ فعْلِ الكينونةِ على نظيره السّابقِ بالواو:

المضامينُ الخبريَّةُ تُجمعُ وتشتركُ بينها في الدَّلالةِ

العطفُ بالواو في قوله: ﴿وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا﴾ هو من عطْفِ الجُمل، فقد عطفَ هذه الجملةَ على جملة ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ﴾، ومثلُها كذلك جملةُ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾، فإنَّها معطوفةٌ على جملةِ ﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ﴾، وهدفُ هذا العطفِ هو الجمعُ بين هذه المضامين الخبريَّةِ الَّتي تعزِّزُ موقفَ العبدِ الصّالح من إقامةِ الجدارِ.

سِرُّ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿تَحۡتَهُۥ﴾:

التَّعبيرُ بالظَّرفِ قصدٌ لهذه الظَّرفيَّةِ

عبَّرَ بقوله: ﴿تَحۡتَهُۥ كَنزٞ﴾ لقصْدِ الظَّرفيَّةِ، ببيانِ أنَّ أباهما كان قاصدًا أن يحفظَ الكنزَ لولدَيه أسفلَ الجدار، ثقةً منه لصلاحه في أنَّ اللّه تعالى سيُهيِّئُ لولدَيه منَ السُّبلِ ما يعينُهم على الحصول عليه، وهو ما كان.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 122.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 238.

دَلالةُ تنكيرِ لفْظِ ﴿كَنزٌ﴾ في السّياقِ:

سَوْقُ التَّنكيرِ لإفادةِ التَّكثيرِ

في ذكرِ كلمة ﴿كَنزٌ﴾ وتنكيرِها إشعارٌ بكونِه عظيمًا مهمًّا، له قيمةٌ، فقد قيلَ: كانَ مالًا جَسيمًا كَما يُفيدُهُ اسْمُ الكَنْزِ؛ إذْ هو المالُ المَجْموعُ، فربَّما كان ذهبًا أو فضَّةً[1].

ورودُ الجارِّ والمجرورِ ﴿لَّهُمَا﴾:

تحديدُ الملكِ والاختصاصِ، بصاحبَيِ الملكيَّةِ

اللّامُ الجارَّةُ مفيدةٌ للملكِ والاختصاصِ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ هذا المال كان مملوكًا لهما بوسيلةٍ من وسائلِ التَّملُّك، كأن يكون إرثًا لهما[2].

تَكرارُ فعْلِ الكينونةِ معطوفًا على سابِقين بالواو:

عواملُ الحفاظِ على المالِ بإقامةِ الجدارِ المائلِ

كرَّرَ فعلَ (كان) معطوفًا بالواو، لقصْدِ الجمع والإشراك، بين هذه الجمل الخبريَّةِ ومضامينِها، وأنَّها مجتمعةٌ، كانت من أسباب إقامةِ الجدار المائلِ، للغلامَين بأمر الله.

إيثارُ التَّعبيرِ بالأبوَّة دونَ لفظِ والدِهما:

مقامُ الأبوَّة أليقُ بالسّياقِ، وأنسبُ للمقامِ هنا

في إيثار التَّعبيرِ بالأب دون الوالدِ مُلاءمةٌ للسّياق وللمقام؛ لأنَّ مقامَ الأبوَّةِ يقتضي الشَّفقةَ والحنوَّ والرِّعاية، وليس المقصودُ مجرَّدَ النِّسبة، فكم من والدٍ ليس بأبٍ، لكونِه لا يرعى أبناءَه، ولا يقومُ بمسؤوليَّتِه تجاهَهم، "والظّاهرُ أنَّ أباهما هو الأقربُ إليهما الَّذي ولدَهما"[3]، خلافًا لمن ابتعدَ به إلى الأب السّابعِ أو العاشرِ، وهو ما لا يساعدُه ظاهرُ السّياقِ.

فائدةُ الوصْفِ بالصَّلاحِ للأبِ:

فائدةُ النَّصِّ على صلاحِ الأب؛ المفيدِ للأبناءِ من أكثرَ من جهةٍ

منها أنَّ الأبناء يكتسبون من سلوك آبائِهم، ويتلقَّون عنهم ما ينفعُهم أو يضرُّهم، تبعًا لحالِ الأب منَ الصَّلاح وعدمِه، فكان

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 360، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 215.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 150.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 216.

النَّصُّ على صلاح أبيهما، إشعارًا بأنَّهما على الدَّرب سائران، ومنها أنَّ من إكرام الأب الصّالح ومكافأته، إكرامَ صغارِه، وتسخيرَ من يقومُ على رعايتِهم، كما أشار القرآنُ الكريم إلى ذلك، بقوله: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النّساء: 9].

معنَى الفاءِ في جملةِ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾:

في صلاحِ الآباءِ، وقايةٌ للأبناءِ

الفاءُ في قوله: ﴿فَأَرَادَ﴾ للسَّببية؛ إذ صلاحُ الأب سببٌ لتلك الإرادة[1]، وفي الآية دلالةٌ على أنَّ صلاحَ الآباء، يفيدُ العنايةَ بالأبناء، وأنَّه يُدَّخر لهم ذلك الصَّلاحُ، فينفعُهم في المُلمّات، ويُرزقون به في الأزمات.

نُكتةُ نسبةِ الإرادةِ إلى الرَّبِّ هنا دونَ ما سبقَ:

الكرامةُ منَ الله للوالدين ظاهرةٌ في قصَّة الجدارِ واليتيمَين

وقد أَسْنَدَ الإرادةَ في قِصَّةِ الجدارِ إلى اللّه تَعالَى دونَ القِصَّتَيْنِ السّابِقَتَيْنِ؛ لأَنَّ العَمَلَ فيهما كانَ مِنْ شَأْنِه أَنْ يَسْعَى إِلَيْه كُلُّ مَنْ يَقِفُ على سِرِّهِ؛ لأَنَّ فيهما دَفْعَ فسادٍ عَنِ النّاسِ، بخِلافِ قِصَّةِ الجِدارِ فتِلْكَ كَرامَةٌ مِنَ اللّه لأَبَي الغُلامَيْنِ[2].

وقيل: إنَّما أسندَ الإرادةَ في الثّالثة إلى اللّه تعالى؛ لأنَّها في أمرٍ مُستأنفٍ في الزَّمن الطَّويلِ غيْبٍ مِنَ الغيوب، فحسُنَ إفادةُ هذا الموضعِ بذكرِ اللّه تعالى[3].

سرُّ التَّعبيرِ بالربِّ، وإضافتِه إلى ضميرِ المخاطَبِ:

التَّعبيرُ بالرَّبِّ هنا أنسبُ لدلالتِه على الإنعامِ والإكرامِ

عبَّر بالرَّبِّ دون الإله، فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾؛ لكونِه أنسبَ وأليقَ بالمقام، وذلك لما فيه من دلالةٍ على الإنعامِ الظّاهرِ على الولدَين اليتيمَين، وإكرامِ أبيهما الصّالحِ الَّذي فارقَهما يتيمَين، وفي إضافتِه إلى ضميرِ موسى عليه السلام تشريفٌ ما بعدَه تشريفٌ، وفي قوله: ﴿رَبُّكَ﴾

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 150.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 14.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 537، والزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن: 4/ 60.

دون (ربّهما) لطيفةٌ عجيبةٌ، فقد أَضافَ الرَّبَّ إِلَى ضَميرِ موسَى ﷺ تَشْريفًا لَهُ[1]، ومن هنا "ففي إضافةِ الرَّبِّ إلى ضمير موسى ﷺ دون ضميرِهما، تنبيهٌ له على تحتُّم كمالِ الانقياد والاستسلام لإرادته سبحانه، ووجوبِ الاحترازِ عنِ المناقشة، فيما وقع بحسبِهما الَّتي يُشمُّ منها طلبُ ما يحصلُ به تربيَةُ البدن وتدبيرُه"[2].

دَلالةُ بلوغِ الأشدِّ في الآية:

يحصلُ الأشدُّ مع بلوغِ الحلمِ، وتوفُّرِ العلمِ وكمالِ الرَّأيِ والرُّشدِ

ولعلَّ ما في الآية هو منَ المُشارفة، أو من حصول البدايةِ، وليس بلوغَ المنتهَى، لوصفِهما بـ ﴿لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ﴾، ففيه دلالةٌ على عدم بلوغِهما الحلمَ بعدُ، وأنَّهما كان على مشارفِه، أو أنَّهما كانا في بداية زوالِ اسمِ اليُتم عنهما، ولقصرِ الوقت بين الوصفِ باليُتم، وحصولِ البلوغ، عبَّر بوصفِ اليُتم (مجازًا مرسلًا)، باعتبار ما كان، كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النّساء: 2]، ولهذا قيل: المرادُ ببلوغ الأشدِّ هنا، حصولُ "الحلم وكمالِ الرَّأي"[3]، وهذا قد يحصلُ مع بداية بلوغِ الحلم مع توفُّرِ العلم وكمالِ الرَّأي والرُّشد، ويؤيِّدُه قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النّساء: 6] حيث علَّقَ دفعَ أموالِ اليتامى إليهم على حصول هذين القيدَين: بلوغِ الحلم، وإيناسِ الرُّشدِ.

وعلى هذا فالأشدُّ هنا خلافُ الأشدِّ، في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: 14]، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ [الأحقاف: 15]، فإنَّ المرادَ به بلوغُ منتهى الأشدِّ، وهو الأنسبُ لوقت النُّبوَّةِ ووقتِ النُّضج الكامل للعقل، فيكونُ الأشدُّ على هذا هو: "مفهومٌ كلّيٌّ مُشكِّك يختلفُ باختلاف المحلِّ"[4].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 150، والشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 360.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 336.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 291.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 151.

العُدولُ إلى ﴿أَن يَبْلُغَآ﴾ عِوضًا عن (بلوغ):

أوثرَ التَّعبيرُ بالمضارع ﴿يَبْلُغَآ﴾ الَّذي دخلت عليه ﴿أَن﴾ المصدريَّةُ، فأحالتْه مصدرًا مؤوَّلًا، دون التَّعبيرِ بالمصدرِ الصَّريح (بلوغ أشدِّهما) لما في المصدر المؤوَّلِ من دلالةٍ على الزَّمن، ولمّا كان من دلالة الفعل المضارع قصدُ الاستقبال؛ كان التَّعبيرُ به أولى وأدلَّ على المراد، من حيث إنَّهما - فيما يظهرُ - كانا صغيرَين مُشارفَين لبلوغ الأشدِّ.

إيثارُ المصدرِ المؤوَّلِ لدلالتِه على الزَّمنِ

عطْفُ جملةِ ﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾:

عطْفُ جملةِ ﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾ على جملةِ ﴿يَبْلُغَآ﴾ بالواو للإشراكِ بينهما، فكأنَّ كلًّا منهما مرهونٌ بوجود الآخرِ، والمعنى على لسان العبدِ الصّالح، في قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾، أي: من تحت الجدار، ولولا أنّي أقمتُه؛ لانقضَّ، وخرجَ الكنزُ من تحتِه، قبْلَ اقتدارِهما على حفظ المالِ وتنميَتِه، وضاعَ[1].

استخراجُ الكنزِ بعدَ بلوغِ الأشدِّ، توفيقٌ منَ الله، واتِّخاذٌ للأسبابِ

سِرُّ العُدول عن (ويُخْرجا) إلى ﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾:

زيدتِ السّينُ والتّاءُ ﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾ على (يخرجا)، إمّا لتقويَةِ الفعل، أو للدَّلالةِ على الطَّلبِ، فـ "استخراجُ الكنز - معناه - طلبُ إخراجِه، والعملُ على ذلك منهما أو من غيرِهما، ممَّن له صلةٌ بهما، فالسّينُ والتّاءُ للطَّلب"[2].

يُؤثرُ الفعلُ بالصّيغةِ الأكثرِ مناسبةً للمطلوبِ في السّياقِ

دَلالةُ وضعِ المُظهرِ موضعَ المُضمرِ في لفظِ ﴿كَنزَهُمَا﴾:

كان المقتضَى في التَّعبير أن يقال: (أنْ يَسْتَخْرِجاهُ)، نظرًا لقربِ ذكرِ الكنز، في قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾، لكنَّه أظهرَه في مقام إضمارٍ؛ اعتدادًا به، وإبرازًا لنعمةِ الله على الغلامَين، وإكرامًا لأبيهما الصّالحِ.

خيرُ ما يورَّثُ الأبناءُ الصَّلاحَ، فهو الأبقى والأكملُ

نُكتةُ موقعِ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ الإعرابيِّ:

قولُه: ﴿رَحْمَةً﴾ فيه ثلاثةُ أوجهٍ إعرابيَّة: **الأوَّل**: وهو أوضحُها:

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 239.

(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4571.

أنَّه مفعولٌ لهنَّ، والعاملُ فيه الفعلُ ﴿فَأَرَادَ﴾[1]، **والثّاني**: أَنْ يكونَ في موضعِ الحالِ مِنَ الفاعل، أي: أراد ذلك راحمًا، وهي حالٌ لازمةٌ.

والثّالث: أَنْ ينتصِبَ انتصابَ المصدرِ، على أنَّ معنى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ﴾، أي: (فَرَحِمَهما)[2].

مَن حمَتْهُ رعايةُ الله، لم يُضيّعْ ما يُخافُ عليه أن يُضاعَ

سِرُّ إعادةِ ذكْرِ الرَّبِّ مُظهَرًا:

أعيد لفظُ الرَّبِّ مُظهرًا، وكان المُقتضَى أن يُضمرَ، لقوله قبْلَه: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ لمزيدِ التَّلطُّفِ والتَّلذُّذِ بذكر اسمِه سبحانه[3]، ولإبراز كونِه المُنعمَ على كلِّ حالٍ.

دَلالةُ ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾:

﴿مِّن﴾ في ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ ابتدائيةٌ، وقولُه: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، أبلغُ من: (رَحْمَةَ رَبِّكَ)، وإن كان أطنبَ[4]، وفي قَوْلِه: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ تَصْريحٌ بما يُزيلُ إنْكارَ موسَى عليْه تَصَرُّفاتِه هذه، بأنَّها رَحْمَةٌ ومَصْلَحَةٌ، فلا إنْكارَ فيها بَعْدَ مَعْرِفَةِ تَأْويلِها[5].

(مـن) الابتدائيَّةُ تُرسّي المعنَى في الجُملةِ البليغةِ

معنَى الواو ﴿وَمَا﴾ في قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾:

أمّا الواو؛ فإمّا أن تكون عاطفةً على ما سبقَ، أو أن تكونَ واوَ الحال[6]. ﴿وَمَا﴾ نافيةٌ، والمعنى: وما فعلتُ ما فعلتُ من خرقِ السَّفينةِ، وقتلِ الغلام، وإقامةِ الجدار، بإرادة منّي، ولكنْ بإرادة اللّه وأمرِه.

ما فعلَه الخَضرُ مـنَ التَّكليف، كان تنفيذًا للأمرِ الإلهيِّ الشَّريفِ

دَلالةُ التَّعبيرِ بجملةِ ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾:

أوثرَ التَّعبيرُ بالفعل، لما يدلُّ عليه مِنَ العموم، فهو منَ الألفاظِ

(1) الخطيب وآخران، التَّفصيل في إعراب التَّنزيل: 16/ 22.
(2) السّمين الحلبي، الدّر المصون: 7/ 540.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 152.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 152.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 14.
(6) الخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 16/ 22.

الجامعةِ، وهو أعمُّ منَ العمل، فيشملُ كلَّ تصرُّفٍ تصرَّفَه فيما نصَّت عليه السّورةُ.

كلمةُ (فعل) أعمُّ في الدَّلالة من غيرِها، فكانت أنسبَ تعبيرًا هنا

كما أنَّ لفظَ الفعلِ يُطلقُ على ما يمرُّ سريعًا، وينقضي، ولا يكونُ له أثرٌ، أمّا العملُ؛ فيقال لما يكون له أثرٌ[1]، وما قام به العبدُ الصّالح هو من ذلك النَّوع الَّذي لا يصلحُ أن يكونَ حكمًا شرعيًّا ثابتًا، بحيث يجوزُ تَكرارُ عمله، ولكنَّه من ذلك النَّوع الَّذي لا يتكرَّرُ، فهو مجرَّدُ حدثٍ فريدٍ في التّاريخ، قد شاء الله ﷻ أن يمكِّن منه بعضَ خواصِّه، لأسبابٍ خاصَّةٍ ببعض الخواصِّ أيضًا.

فائدة التقييد بشبه الجملةِ ﴿عَنْ أَمْرِيۚ﴾:

وقولُه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ﴾ يوحي"بِأَنَّهُ فعلها عَنْ وحْيٍ مِنَ اللهِ؛ لأَنَّهُ لَمّا قالَ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ﴾؛ عَلِمَ موسَى أَنَّ ذَلِكَ بِأَمرٍ مِنَ اللهِ تَعالَى؛ لأَنَّ النَّبيَّ إِنَّما يَتَصَرَّفُ عَنِ اجْتِهادٍ أَوْ عَنْ وحْيٍ، فلَمّا نَفَى أَنْ يَكونَ فِعْلُهُ ذَلِكَ عَنْ أَمرِ نَفْسِهِ؛ تَعَيَّنَ أَنَّهُ عَنْ أَمرِ اللهِ تَعالَى، وإِنَّما أوثِرَ نَفْيُ كَوْنِ فِعْلِه عَنْ أَمرِ نَفْسِه على أَنْ يَقولَ: وفَعَلْتُهُ عَنْ أَمرِ رَبّي، تَكْمِلَةً لكَشْفِ حَيْرَةِ موسَى وإِنْكارِهِ؛ لأَنَّهُ لَمّا أَنْكَرَ عليْه فعْلاتِه الثَّلاثَ؛ كانَ يُؤَيِّدُ إِنْكارَهُ بما يَقْتَضي أَنَّهُ تَصَرَّفَ عَنْ خَطَأٍ"[2].

المرادُ بالأمرِ مضافًا إليه في لفظِ ﴿أَمْرِيۚ﴾:

الأمرُ المرادُ، هو الرَّأيُ والاجتهادُ

المرادُ بالأمر هنا الرَّأيُ والاجتهادُ، أي: ما فعلتُه عن رأيي واجتهادي[3]، فالأمرُ هنا واحدُ الأمور - كما يقول الخفاجيُّ - والمرادُ به الرَّأيُ، لا أنَّه بمعنى الرَّأي، وظاهرُ كلامِ الرّاغب أنَّ الأمرَ يُطلق على الرَّأي[4].

(1) أبو حيّان، المقابسات، ص: 280، والرّاغب، المفردات: (عمل).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 15.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 337.
(4) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 130.

سِرُّ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ البعيدِ ﴿ذَٰلِكَ﴾:

عبَّرَ باسمِ الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ إشارةً إلى ما ذكرَ منَ العواقبِ المنظومةِ في سِلك البيانِ، وما فيه من معنى البُعدِ، للإيذان ببُعدِ درجتِه في الفخامة[1].

الإشارةُ للبُعدِ للدَّلالةِ على عِظمِ هذه الأعمالِ في المكانةِ والفخامةِ

بَلاغةُ فذلكةِ الجملةِ لما قبلها:

وَجُملَةُ ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾، فذْلَكَةٌ للجُمَلِ الَّتي قَبْلَها ابْتِداءً مِنْ قَوْلِه: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ﴾، فالإشارَةُ بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى المَذْكورِ في الكَلامِ السّابِقِ، وهو تَلْخيصٌ للمَقْصودِ كَحَوْصَلَةِ المُدَرِّسِ في آخِرِ دَرْسِه[2].

التَّفصيلُ بعد الإجمالِ، من فصيحِ البيانِ في هذا المجالِ

التَّعبيرُ بلفظِ ﴿تَأۡوِيلُ﴾ دونَ (إخبار):

عبَّرَ بالتَّأويل دونَ الإخبار؛ لأنَّه أطلعَه على حقيقة سرِّ كلِّ فعلةٍ من الأفعال، وليس مجرَّدَ إحاطةٍ مجملةٍ، فالمرادُ بالتَّأويل: إرجاعُ الأمر إلى حقيقتِه، وتفسيرُ ما أشكلَ منه[3].

لا يُتاحُ التَّأويلُ إلّا لمن فتحَ الله بصيرتَه، وعلَّمَه التَّأويلَ

معنَى ﴿مَا﴾ في سياق الآيةِ:

في قولِه تعالى: ﴿مَا لَمۡ تَسۡطِع﴾، ﴿مَا﴾: اسمٌ موصولٌ، والتَّعبيرُ بها دون (الَّذي) لكونِها أعمَّ في الدَّلالةِ وأخصرَ.

فائدةُ ذكرِ ﴿لَمۡ﴾ النّافية:

دخولُ ﴿لَمۡ﴾ النّافيةِ الجازمةِ، على المضارع ﴿تَسۡطِع﴾، أحالتْ معنى المضارعِ إلى الزَّمن الماضي، أي: ذلك تأويلُ كلِّ ما مضى، ووقعَ من أفعالٍ، لم تُطقْ وقتَها الصَّبرَ على عدم السُّؤالِ عن حكمتِها، حتّى أبيِّنَها لك، كما تعاهدْنا، وقد أظهرتُ لك الآن حكمتَها.

أثرُ تحويلِ الفعلِ المضارعِ إلى الماضي في جملة (لَم تَسْطِعْ)

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 337.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 15.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 14/ 8974.

دَلالةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿تَسۡطِع﴾ محذوف التّاء:

دلَّ التَّعبيرُ بالفعل ﴿تَسۡطِع﴾ محذوفِ التّاء دون سابقِه، حيث عبر: ﴿تَسۡتَطِع﴾ فحذفَ التّاء هنا تخفيفًا، لقُرْبِها مِنْ مَخْرَجِ الطّاءِ، وأيضًا للتَّفَنُّنِ تَجَنُّبًا لإعادَةِ لَفْظٍ بعَيْنِه مع وُجودِ مُرادِفِه، وابْتُدِئَ بأَشْهَرِهما اسْتِعْمالًا، وجيءَ بالثّانيَةِ بالفعْلِ المُخَفَّف؛ لأَنَّ التَّخْفيفَ أَوْلَى به؛ لأَنَّهُ إذا كَرَّرَ تَسْتَطِعْ؛ يَحْصُلُ مِنْ تَكْريرِه ثِقَلٌ، فناسبَ تخفيفُ الأخير منه[1].

أثرُ حذفِ الحرفِ مِنَ الفعلِ، في التَّخفيفِ والتَّفَنُّنِ

وقيل: حَذفَ تاءَ الاستطاعة هنا لصيرورةِ ذلك - بعد كشف الغطاءِ - في حيّزِ ما يُحملُ[2]، أي: فلا يُحتاجُ إلى ما يدلُّ على تكلُّف عدمِ الاستطاعةِ، وهو ما يتحقَّقُ بوجود التّاء؛ لأنَّ زيادةَ المبنى، تدلُّ على زيادة المعنى.

إيثارُ حرفِ الاستعلاءِ (على) في السّياقِ:

عبَّرَ بحرف الجرِّ (على)، لما فيه من معنى السَّببيَّةِ والتَّعليلِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة: 185][3].

حرفُ الاستعلاءِ (على) فيه معنَى السَّببيَّةِ

تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِ﴾ في السّياقِ:

وفي تقديم الجارِّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِ﴾ على المفعول ﴿صَبۡرًا﴾، للاهتمامِ ولإفادة الاختصاصِ، ولرعاية الفواصلِ.

تَنكيرُ لفظِ ﴿صَبۡرًا﴾ في السّياقِ المُحكمِ:

تنكيرُ كلمةِ ﴿صَبۡرًا﴾، يدلُّ على العموم، أيْ: نفي وقوعِ كلِّ ما يُسمّى صبرًا، وإن كان ضئيلًا، فهذا ما تفيدُه النَّكرةُ الواقعةُ في سياق النَّفي، وكان العبدُ الصّالح قدِ التمس له عذرًا في عدم صبْرِه على ما يراه مُخالفًا، بقوله له قبلُ: ﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرًا ٦٨﴾ [الكهف: 68].

النَّكرةُ في سياقِ النَّفي تفيدُ العمومَ، ولها أثرٌ في الدَّلالةِ معلومٌ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 154، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 15.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 123.
(3) المرادي، الجنى الداني، ص: 477.

سِرُّ تَكرارِ الصَّبر في القصَّة كلِّها:

بيانُ أهمّيَّةِ الصَّبر عمومًا، وفي تلقّي العلمِ خصوصًا

تكرَّرَ في الآيات ورودُ لفظِ الصَّبر، لتعدُّدِ المواطن المناسبةِ لذكره، ولبيان أهمّيَّةِ الصَّبرِ في حياة الإنسان عامَّةً، فهو مفتاحُ كلِّ خير، وأهمّيَّتُه في تلقّي العلم خاصَّةً، بالصَّبرِ على تلقّيه ممَّنِ اختصَّه الله تعالى بالعلمِ النّافعِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الغلامُ والرّجلُ:

يقالُ غلامٌ إلى وقتِ البُلوغِ، ويقالُ رجلٌ لمن وُصِفَ بالشِّدَّةِ والفُتوَّةِ والقوَّةِ

كلٌّ مِنَ الغلام والرَّجلِ يختصّان بالذُّكور من بني الإنسان، مع فروقٍ بينَهما تبعًا للمرحلة العُمريَّة وقوَّةِ التَّحمُّل والاستقلالِ بالمسؤوليَّة في ضوء ما يأتي:

أمّا الغلام؛ فيقال: اغْتَلَمَ الغُلامُ: إذا بلغ حدَّ الغلومة، أي: حدَّ الرَّغبةِ في الأنثى طلبًا للنِّكاح، ولمّا كان مَن بلغ هذا الحدَّ كثيرًا ما يغلبُ عليه الشَّبقُ؛ قيل للشَّبقِ: غِلْمَةٌ[1].

وقيل: يقعُ اسمُ الغُلام على الصَّبيّ، من حين يولدُ على اخْتِلاف حالاته، إلى أَن يبلغَ، وحدَّ بعضُهم نهايتَه ببلوغ عشرِ سنواتٍ[2].

وقيل: هو الطّارُّ الشّاربِ، يقال: طَرَّ شاربُه، أي: طَلَعَ وظهرَ، وقد يُطلقُ على الطِّفل على سبيل التَّفاؤل، وعلى الكهل، ومنه قولُ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةِ:

شَفاها مِنَ الدّاءِ العُضالِ الَّذي بها *** غُلامٌ إذا هَزَّ القَناةَ سَقاها

تسميةً بما كان عليه قبْلَ الكُهولةِ[3].

وأمّا الرَّجلُ؛ فإنَّه يفيدُ معنى القوَّةِ على الأعمال، ولهذا يقالُ

(1) الرّاغب، المفردات: (غلم)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: 3/ 1604.
(2) الكفويّ، الكليّات، ص: 672.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/ 108.

في مدح الإنسان: إنَّه رَجُلٌ، ومنه قولُه تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: 34]؛ ولذا قالوا: "هذا أَرْجَلُ الرَّجُلين، أي: أشدُّهما"[1].

وعلى هذا، فالغلام أقصى حدٍّ يبلغُه، هو وقتُ البلوغ، وظهورُ الشّارب، والرَّجلُ يقال باعتبار الشِّدَّةِ والفتوَّة، وتحمُّلِ المسؤوليَّة والقوَّةِ على الأعمال.

المدينة والقرية:

القرْيَة هي الأَبْنيَة الَّتي تجمعُ النّاسَ، من قَوْلهم: قريتُ الماء في الحَوْض؛ إذا جمعتُه، وعبَّرَ في السّورة الكريمةِ بالقرية دونَ المدينة؛ لمّا كان المقامُ مقامَ ذمٍّ، فقال: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾، وذلك أنَّ مادَّةَ (قرا)، تدورُ على الجمعِ الَّذي يلزمُه الإمساكُ[2]، ولمّا كان المقامُ غيرَ ذلك، وإنَّما هو مجرَّدُ الإخبار، عن سبب إقامة الجدارِ؛ عبَّر عنها بالمدينة، فقال: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، فالمدينةُ بمعنى الإقامةِ، فكان التَّعبيرُ بها أليقَ، للإشارة به إلى أنَّ النّاسَ يُقيمون فيها، فينهدمُ الجدارُ، وهم مقيمون فيأخذون الكنزَ[3].

القريةُ تقالُ باعتبار الاجتماعِ، والمدينةُ تقالُ باعتبارِ الإقامةِ

وعلى ذلك فلا منافاةَ، بين التَّسميةِ بالقرية، ثمَّ تسميتِها بالمدينة؛ لأنَّ كلًّا منهما أنسبُ في آيته، بحسبِ الاعتبارِ، وبحسبِ السّياقِ.

(تحت) و(دون):

دون: نقيضُ فوق "(أي: إنَّها بمعنى تحت)، وهذه التَّحتيَّةُ هي أصلُها، والمعنى المحوريُّ: كَوْنُ الشَّيء منخفضًا في أسفلِ شيء، وقدِ استُعملت في مجاز ذلك، مثل: ثوبٌ دونٌ: رَديء، ورجل دونٌ: ليس

لفظُ (تحت) ظرفُ مكانٍ يدلُّ على خصوصِ السُّفلِ المقابلِ للفوقِ، ولفظُ (دون) قد يقالُ باعتبارِ الدّونيةِ وسُفلِ المنزلة والمكانةِ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: 2/ 767.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 113.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 122.

بلاحقٍ، أي: خسيس[1]، وعلى هذا فالدّونُ قد يطلقُ على السُّفل في المنزلةِ، للدَّلالة على الوضاعةِ والخِسَّة.

وأمّا تَحْتُ؛ فإنَّه يقالُ أيضًا مقابلًا لفوق، كما قال تعالى: ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْۚ﴾ [المائدة: 66]، وقال: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحجّ: 23][2]، فهي على هذا ظرفُ مكانٍ، ولذلك أوثرَ التَّعبيرُ به في قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾، ولم يقل: (وَكانَ دونَهُ كَنْزٌ لَهُما)، فلن يُؤدّيَ نفسَ المعنى الَّذي أدّاه لفظُ (تحت) هنا، وذلك أنَّ لفظَ (تحت)، ظرفُ مكانٍ، يدلُّ على خصوص السُّفلِ المقابلِ للفوق، ولفظُ (دون) قد يقالُ باعتبار سُفلِ المنزلةِ والمكانةِ، لا المكانِ.

الأب والوالد:

الوالدُ يقالُ باعتبار النِّسبةِ في الولادة، ولا يعبَّرُ عنِ الرِّعاية والتَّربيةِ بخلاف لفظِ الأب، فإنَّه يدلُّ على الرِّعايةِ والاهتمام والمسؤوليَّةِ، وفي إيثار التَّعبيرِ بالأب دونَ الوالدِ في قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، ملاءمةً للسّياقِ وللمقام؛ لأنَّ مقامَ الأبوَّة، يَقتضي الشَّفقةَ والحُنوَّ والرِّعايةَ، وليس المقصودُ مجرَّدَ النِّسبة، فكم من والدٍ ليس بأبٍ لكونِه لا يرعى أبناءَه، ولا يقومُ بمسؤوليَّته تجاهَهم.

الوالدُ يقالُ باعتبار النِّسبةِ في الولادةِ، والأبُ يقالُ باعتبارِ الشَّفقةِ والحُنوِّ والرِّعايةِ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: 2/ 684.
(2) الراغب، المفردات: (تحت).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»